الحياة أقصر من أن تقصرها!

هذه العبارة قالها « دزرائللي » ويقول « أندريه موروا » لقد كانت كلمات دزرائللي هذه شمعة أنارت لي طريق حياتي حيث دفعتني إلى الإنتصار على بعض التجارب المريرة .

وقال إننا نثور لأتفه الأسباب ولهذا لا يزيد عمر أي إنسان على ظهر هذه الأرض أكثر من بضع عشرات من السنين وبرغم هذا فإننا ننفق جانباً كبيراً من حياتنا في إجترار الأحزان رغم أن هذه الأحزان يمكن للنسيان أن يخفيها تحت عباءته ويزيد أندريه موروا على ذلك .

قائلاً أنه يجب أن يملأ الإنسان حياته بالأنشطة المثمرة والأفكار اللامعة والأعمال النافعة فإن الحياة أقصر من أن نقصرها .

ولنستمع إلى قصة « روبرت مور » من ولاية نيوجرسي بالولايات المتحدة الأمريكية حيث يقول :

« تلقيت أعظم دروس حياتي بينما كنت على عمق 276 قدماً تحت سطح الماء سنة 1954 حيث كنت ضابطاً بحرياً ومعي سبع وثمانون بحاراً على ظهر غواصة وفي ذات ليلة أعطانا جهاز « الرادار » مؤشراً بأن قافلة يابانية تتجه نحونا واستطعنا من خلال الأجهزة التأكد من أنها مدمرتان وسفينة لبث الألغام فأطلقنا عليها ثلاث طوربيدات .

ولكننا أخطأنا الهدف وفجأة وجدنا سفينة الألغام في مواجهتنا حيث كنا على سطح الماء لضرب السفن المعتدية بالطوربيدات واتضح أن طائرة

استكشاف يابانية لمحت موقعنا وأبلغت السفينة من خلال جهاز اللاسلكي بموقعنا فاضطررنا إلى الغوص بالغواصة على عمق 150 قدم ثم أوقفنا الغواصة حتى لا يسمع العدو صوت المحركات ولم تمر علينا سوى دقائق ثلاث حتى فتحت علينا أبواب الجحيم فقد انفجرت حولنا قنابل الأعماق فدفعتنا إلى 276 قدم .

وسيطر علينا الفزع لأن أقسى ما تحتمله أية غواصة أن يهاجمها العدو بقنابل الأعماق وهي على عمق أقل من ألف قدم فما بالك ونحن على ربع هذا العمق تقريباً ومكثت سفينة الألغام تمطرنا بهذه القنابل عشر ساعات متصلة حتى اضطررنا مرة ثانية إلى ايقاف المحركات .

فارتفعت درجة الحرارة إلى مائة درجة ورغم ذلك فكنت أنتفض من شدة البرد فارتديت فوق ثيابي معطفاً من الفراء وظلت أسناني تصطك إلى أن توقف الهجوم فجأة ومضت السفن في طريقها بعيداً عنا .

وفي خلال هذه الساعات العشر انبسطت أمامي صفحة حياتي كلها بما اشتملت عليه من توافه الأمور ومن الأحداث العظام التي خلقت القلق في نفسي .

وقد قطعت عهداً على نفسي إذا عشت مرة أخرى بعد أن مت مائة مرة أو أكثر تحت أعماق الماء عاهدت نفسي لو رأيت الشمس مرة أخرى ألا أعود للقلق مهما كان السبب وقد تعلمت من هذه المحن أكثر ما تعلمت في سنوات الجامعة الأربع .

ويقول أحد قضاة مصر الذي قدر له أن يفصل في آلاف من قضايا الطلاق

« إن معظم قضايا الطلاق أساسها تافه بل إن قضايا الجنايات نفسها معظمها يقوم على أسباب في غاية التفاهة مثل جدال ينشب بين أفراد عائلة أو إهانة عابرة أو كلمة جارحة فأمثال هذه التوافه وراء معظم الجنايات فقلة من الناس قساة الطبع أما أغلبهم فليسوا كذلك ولكن توالي الضربات الموجهة إلى ذواتنا وكبريائنا وكرامتنا هو سبب معظم ما يعانية العالم من مشكلات » .

وقد كتب إيمرسون قصة طريفة تدور حول شجرة كانت مجرد شجرة صغيرة حينما وضع كروستوف كولمبس قدميه بمدينة « سان سلفادور » وعاشت هذه الشجرة حوالي 400 عام .

وأصيبت خلال حياتها الطويلة بالصواعق أربعة عشرة مرة ومرت بها العواصف العاتية ولكن رغم كل هذا بقيت هذه الشجرة ثم حدث أن زحفت بعض الحشرات الصغيرة إلى هذه الشجرة الضخمة فسوتها بالأرض رغم أن مثل هذه الهوام التي أكلت الشجرة يمكن سحق الواحدة منها بين السبابة والإبهام .

من هذه القصة الصغيرة ألا يمكن أن نستنتج أننا مثل هذه الشجرة يمكن أن نعبر الأعاصير ونتغلب على صواعق الحياة ثم نستسلم بعد ذلك لهوام القلق حيث تلتهمنا تماماً .

ولهذا يمكن أن نقول أن هذه القاعدة الذهبية « **لا تسمح لنفسك بالثورة من أجل التوافه وتذكر أن الحياة أقصر من أن نقصرها** » .

* * *